ظاهرة المشترك اللفظي عند القدماء والمحدثين (دراسة تقابلية)

A Comparative Study of Common Arabic Vocabulary among the Classical and Modern Scholars

*عبدالماجد

**د۔حافظ محمد بادشاه

Abstract

The aim of this study is to find out the difference of meaning and use of the common Arabic vocabulary items among Classical (Asr-ul-Qadeem: before the 13th Century) and Modern scholars (Asr-e-Jadeed: After 18th Century) and the factors contributing towards such difference. The data were collected from a wide range of literature through observations and note-taking. A few words have been analyzed with the focus on the research objectives. The study concludes that a number of major changes occurred in the Arabic vocabulary over the period of time. These changes owe to the broader socio-cultural evolution.

---

* باحث دكتوراه في اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

** الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

التمهيد

الحمد لله الذى أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه و على وآله وأصحابه أجمعين.! وبعد :

فإن اللغة العربية لها أهمية خاصة في قلوب عامة المسلمين ، حيث إنها ترتبط بالدين الإسلامي ارتباطا وثيقا، ويكفيها شرفا أن أنزل القرآن الكريم بها، فهي لغة مقدسة مباركة خالدة بخلود القرآن وقد قال الله : ﴿"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"﴾ فباللغة العربية يتوصل إلى فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه وفهم الشريعة ومقاصدها، وقد اهتم المسلمون بها خير اهتمام. فانكبوا على تعلمها ودراستها من منطلق الدفاع عن الدين، ومن منطلق الحفاظ على لغة القرآن الكريم، وبها تحفظ الحضارة الإسلامية التي ظلت قرونا عديدة تكتب بها.

تكمن أهمية الموضوع كما يبدو من عنوانه في أنه يعالج نوعا من أنواع الألفاظ المتعددة الدلالة، ويتناول قضية مهمة من قضايا اللغة - هي قضية "الاشتراك اللفظي" وهي قضية معقدة شغلت اهتمام اللغويين - والدراسة التي سأقوم بها بإذن الله تكشف الصعوبات والعوائق التي تقف أمام متعلمي اللغة ومعلميها، ليعطوها قدرا من الاهتمام والتركيز، كل ذلك من أجل إتقان اللغة وخدمة متعلميها.

وأما ما يتعلق بمحتويات البحث فقد يشتمل هذا البحث على تمهيد ومبحثين فالمبحث الأول: مفهوم المشترك اللفظي وقيمته، كما تطرقت في هذا المبحث الخلاف بين المنكرين والمثبتين وأسباب وقوع "المشترك اللفظي" من خلال تأليف القدماء والمحدثين فيه والمبحث الثاني: أنواع المشترك اللفظي، وهذا المبحث يشتمل بأهم إيجابيات وسلبيات المشترك اللفظي، وشواهد من القرآن الكريم، وأهم كتب القدماء والمحدثين في هذا الموضوع وختمت بحثي بأهم النتائج المتوصل إليها.

المبحث الأول: مفهوم المشترك اللفظي وقيمته

تحتل ظاهرة المشترك اللفظي مكانا بارزا في حقل الدراسات الدلالية، لأنها واحدة من الظواهر إنسانية، وقد اختلفت وجهات نظر اللغويين والدلاليين في صلة هذه الظاهرة بوضوح الدلالة وغموضها، فذهب فريق من قدامى الدلاليين ومن محدثي الغرب، إلى أن المشترك اللفظي يسبب نوعا من الإبهام أو الغموض في الدلالة لذلك، بسطت وجهة نظرهم،

ثم رددت عليها، لأن هذه الظاهرة ترتبط من حيث الوضوح والغموض بقضايا سياقية عديدة التي اهتم بها هؤلاء الدلاليون.

المشترك اللفظي عند المتقدمين والمتأخرين

مفهوم المشترك اللفظي عند المتقدمين

إن الإمام السيوطي [1] يبين معنى المشترك اللفظي ناقلاً كلام ابن فارس حيث يقول: "وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[2] فالمشترك اللفظي هو ما يعرفه القدماء بأنه تسمية الأشياء العديدة باسم واحد مثلاً: "عين الماء، وعين السحاب" [3] مثل كلمة (الخال) الذي يطلق على أخي الأم، وعلى الشامة في الوجه، وعلى السحاب، وعلى البعير الضخم، وعلى الأكمة الصغيرة. [4] والترادف بهذا هو وجود عدة كلمات تدل على معنى واحد والمشترك اللفظي نقيضه، إذ هو كلمة واحدة تدل على عدة معان على سبيل الحقيقة والمجاز. ويتفق هذا مع تعريف الأصوليين الذين يرون أنه اللفظ الواحدالدال على معنيين مختلفين فأكثر مثل: "العين" تطلق على العين الباصرة، وعين الماء، وعين الشيء، والجاسوس. [5]

وقال الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه عن لسان القرآن الكريم: "اللغة، الدعاء، العفو المعروف، الثناء الحسن، فمعنى هذا أن اللسان له أربعة معان فهو مشترك لفظي، وهو في نفس الوقت يملك عدة مترادفات، فاللسان مع اللغة يكون ترادفا وهو مع الدعاء يكون ترادفا ومع الثناء الحسن يكون ثالثا"[6]. وقال الزركشي مبيّنا معنى الوجوه والنظائر "وقد صنف فيه قديما مقاتل بن سليمان، فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الهدى له سبعة عشر معنى في القرآن" [7]

مفهوم المشترك اللفظي عند المحدثين:

إن اللغويين المعاصرين فرقوا بين مفهوم المشترك اللفظي (همونيمز) وتعدد المعنى للفظ الواحد (فونيمز) وينظرون إليهما على أنهما موضوعان مختلفان يأخذ أحدهما تلك الألفاظ التي تطور في بنيتها الخارجية تطورا متوازيا وتمتد إلى أن تتقارب وتقابل، وربما تتفق اتفاقا تاما، وبطريقة المصادفة في أصواتها وصورة نطقها، مع اختلاف المعنى والكتابة. وأما الموضوع الثاني هي الكلمات التي نشأت عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة منها إلى أن تباعد بعضها عن بعض في خطوط متفرقة وبهذا اتفق المشترك اللفظي وفق هذا المفهوم يعني التكرار مع التغيير، ولكنه يتضمن وجود أكثر من كلمة بصيغة واحدة.[8]

بينما يتضمن المصطلح الآخر تعدد المعنى للفظ الواحد أي إتيان الكلمة الواحدة بصيغتها وشكلها لمعان متعددة.

أو المشترك اللفظي هو وجود كلمات من أصول ومدلولات مختلفة، ولكن هذه الكلمات تتقارب وتتطابق من حيث النطق والشكل، "متقاربة أو متطابقة من حيث الصيغ أو النطق، بينما يعنى (تعدد المعنى) وجود كلمة واحدة منحدرة من أصل واحد لها أكثر من مدلول السابقين فالملاحظ أن هناك تداخلا بينهما، وهذا التداخل ناشئ عن اعتبار بعض الكلمات (متحدة المعنى) عند بعض الكلمات".[9] ولعل الخلاف بيننا وبينهم قد نشأ عن طريق تناول المشترك اللفظي فهم يختارون فى الدراسة من خلال صورة الصوت المنطوق وليس من صورة مكتوبة كما هو الشأن عند الدارسين العرب الذين درسوا الألفاظ المشتركة من خلال محافظتها على لفظها وأصواتها مكتوبة ومنطوقة وهو ما نجده مثلا عند ابن جني "باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات"[10]

شروط الاشتراك اللفظي:

من أهم شروط المشترك اللفظي ما يلي:

1. معنيان متباينان

إن الكلمة الواحدة التي تعبر عن معنيين متباينين فهي اشتراك لفظي، وإذا اتضح أن إحدى معانيها هي المعنى الأصلي وثانيها مجازي فليس من الصحيح أن نعتبرها من الاشتراك اللفظي.[11]

أ. قيمة المشترك اللفظي

يقول أستاذنا الدكتور عبد التواب[12]:"إن المشترك اللفظي يعد من العوامل التي تؤدي إلى زيادة الثروة اللغوية في معاني الألفاظ، فيفتح المجال أمام المتحدثين باللغة أن يعبروا عما يحتاجون إليه بألفاظ فيها سهولة ويسر تساعدهم على ما يشاؤون، ففيه مادة صالحة للتورية والاستخدام والجناس التام، والإبهام على السامع، حيث يكون التصريح سببا للمفسدة، كما روي عن أبي بكر الصديقﷺحين سأله رجل عن النبي ﷺوقت ذهابهما إلى الغار: من هذا؟ قال: هذا رجل يهديني السبيل" [13]

ب. الاختلاف في وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية

ليس هناك اتفاق بين العلماء في وقوع هذه الظاهرة في ميدان اللغة العربية وهناك من ينكر، ومنهم من يجيز، ولكل فريق له وجهة.

فريق المنكرين:

أنكر هذا الفريق وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية، ومن زعماء القدماء لهذا الفريق هو ابن درستويه، ومن زعماء المحدثين الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس وهنا أقدم وألخص رأيهما بالإيجاز:[14]

أولاً ابن درستويه: لا يقع المشترك اللفظي في اللغة العربية في رأي ابن درستويه لهذه الأمور الآتية:

أ. "ليس من الصحيح أن تكون الاشترك اللفظي في اللغة العربية لأنه يلبس، وواضع اللغة هو الله فقد وضع الله تعالى اللغة للإظهار عن المعاني".

ب. لو صح وضع كلمة واحدة لتدل على معنيين مختلفين فليس ذلك إبانة وإظهار بل هو تعميم وتغطية.[15]

ت. "والذين جوزوا وضع المشترك اللفظي هم مخطئون نحو إتيان فعل وأفعل لمعنيين مختلفين في نظر المجوزين فمن لا يعرف العلل ويتعمق في دراسات الكلمات يحكم هذا الحكم مع أنهما في الحقيقة لمعنى واحد. وإذا وقع في اللغة العربية أنهما لمعنيين مختلفين، فالسبب يرجع ذلك إلى لغتين متباينتين أو لحذف واختصار في الكلام".

ث. "ويضرب مثلا على خطأ المجوزين بلزوم الفعل وتعديته وذلك أن الفعل لا يتعدى فاعله إذا احتيج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يتغير إلى لفظ آخر بأن يزاد في أوله الهمزة أو يوصل به حرف جر ليستدل السامع على اختلاف المعنيين".[16]

ج. وهكذا ينظر ابن درستويه إن ما جاء فى هذا هو كثرة استخدامه في اللغة العربية فحاولوا تخفيفيه بحذف حروف الجارة منه "فيعرف بطول المادة وكثرة الاستعمال وثبوت النقول وإعرابه فيه خاليا عن الجار المحذوف".

ثانياً: رأي الدكتور إبراهيم أنيس في المشترك اللفظي.

إن المشترك اللفظي في نظر الأستاذ أنيس لا تكون إلا في كلمة التي تؤدي إلى معنيين مختلفين تامين حتى ليس بينهما أية ملابسة أو علاقة وفيه يقول قائلاً: "إذ ثبت لنا من نصوص أن اللفظ الواحد قد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين سمينا هذا بالمشترك اللفظي".[17]

وأما إذا اتضح أن إحدى معانيها هي المعنى الأصلي وثانيها مجازي فليس من الصحيح أن نعتبرها من الاشتراك اللفظي. مثلاً "كلمة (الهلال) فلها معان متعدة ومختلفة فتعبر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال، لا يصح إذا أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات".[18]

وأيد الأستاذ إبراهيم أنيس رأيه بأن القرآن الكريم لم يقع فيه الاشتراك اللفظي إلا قليلا جدا، فيقول قائلاً: "ويندر أن تصادفنا كلمة مثل (أمة) المستعملة في القرآن الكريم بمعنى (جماعة من الناس) وبمعنى (الحين) في قول الله :﴿"وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون" ﴾[19] وبمعنى (الدين) في قوله ﴿"إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ"[20]﴾

فريق المثبتين :

وذهبت جماعة آخر إلى كثرة وقوع المشترك اللفظي في اللغة، وبين له أمثلة كثيرة، ومن هذا الفريق: الخليل، وسيبويه، والأصمعي، وأبو عبيدة معمر بن مثنى، والأنصاري، وابن مسعدة، والسيوطي. وهؤلاء بعضهم أفرد لأمثلة مؤلفات على حدة[21] واستدلوا على وقوعه بهذه الأمثلة التي ذكروها، والمؤلفات التي ألفوها بما هو واقع في لغة العرب وأثر عنهم، ولا يمكن إنكارها.

وإذا كان هؤلاء العلماء قد أقروا بوقوع المشترك في اللغة، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم على صفة الوقوع، هل هذا الوقوع قليل أم كثير؟ وهل هذا الوقوعه يكون من جهة الوجوب، أو الأغلب، أو إمكان الوقوع مطلقا؟ وأغلبهم يرى أنه يمكن الوقوعه، ومن الناس من أوجب وقوعه قولهم: "لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، فإذا وزّع لزم الاشتراك، وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب، لأن الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء، والمضارع كذلك، وهو مشترك بين الحال والاستقبال، والأسماء كثير فيها الاشتراك، فإذا ضممناها إلى قسمي الحروف والأفعال كأن الاشتراك أغلب".[22]

والذي نراه أن المشترك موجود في اللغة العربية، لأنه ورد مأثورا عن العرب الفصحاء الذين يعتد بلغتهم، فنحن نسلم بوجوده، وهذا ما ذهب إليه أكثر اللغويين مع عدم التوسع فيه، فهو واقع موجود في اللغة في عدد كبير من الكلمات، ومن التعسف إنكاره، وتأويل جميع أمثلته تأويلا يخرجها عن باب المشترك.

أسباب نشوء المشترك اللفظي

يمكن تلخيص أسباب نشأة المشترك اللفظي في العربية عموما كما يلي:

1. عامل التطور اللغوي:

قد تكون هناك كلمتان،كانتا في الأصل مختلفين في اللفظ والمعنى، ثم حدت تغييرا في بعض أصوات إحداها فارتفعت لذلك مع الأخرى في أصواتها، وهكذا صار اللفظ الذي اتّحد أخيرا، مختلفة المعنى، أى صارت لفظة واحدة، مشتركة بين معنيين أو أكثر[23] ومثال ذلك أيضًا ما في كتب القواميس، منها: "الفروة" جلدة الرأس والغني[24] وأصل الكلمة بالمعنى الثاني، هي (الثروة) أبدلت الثاء فاء على طريقة العربية، في مثل (جدث) و (جدف) و(حثالة) و(حفالة) وما غيرها ومثال ذلك أيضا، من أن: دعم الشيء: قواه، ودعمه: دفعه وطعنه ورماه بشيء،[25] وأصل الكلمة بالمعنى الثاني، وهو: (رحم) بالحاء، فقد تطورت هذه الحاء، وجهرت، ونسب مجاورتها للدال المجهورة، فقلبت إلى نظيرها المهجور، وهو العين: فصارت (دعم) والتبست لذلك بكلمة: بمعنى: قوى، فنشأ الاشتراك اللفظي في هذه الكلمة.[26]

2. عامل اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة :

ربما كانت اللفظية المقترضة، تشبه في لفظها كلمة عربية لكنها ذات دلالة مختلفة، كما لو تصورنا أن العربية استعارت من الألمانية كلمة (كلب) بمعنى (عجل) فتصير كلمة (كلب) في العربية من كلمات المشترك اللفظي تدل على الكلب الذي نعرفه وعلى العجل[27].

3. عامل اللهجات:

بعض المعاني المجازية نشأت بالتأكيد في بيئات مختلفة، غير أن اللغويين لم يبينوا لنا نادرا بيئة هذا المعنى أو ذاك ومن البعيد أن يظن المرء أن هذه المعاني الكثيرة لكلمة: (العجوز) كانت تستخدم في العربية في بيئة واحدة غير أننا لانعدم إشارة هنا وهناك في كتب اللغة إلى القبائل التي كانت تطلق الكلمة على هذا المعنى أو ذاك.

4. عامل الإشتراك:

إن علماء النحو جعلوا لكل حرف من الحروف معانٍ معتددة، وعلماء اللغة ألفوا فيها كتباً وخصصوا لها أبوابًا من كتبهم، منها "الجنى الداني في حروف المعاني لمحمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري" و"الأذهية في علم الحروف لعلي بن محمد النحوي الهروي"، وأما في ميدان الأفعال نجد الاشتراك بين الخبر، والفعل الماضي، والفعل المضارع، والدعاء،

وبين الحال والاستقبال وفي هذا يقول الإمام السيوطي قائلًا: "والأسماء كثير فيها الاشتراك"[28] أي الاشتراك اللفظي كثير في الأسماء مثل الحروف والأفعال.

5. عامل السياق:

"إن السياق هو علاقة الكلمة التي وقع فيها الاشتراك اللفظي مع ما قبل الكلمات وما بعد الكلمات في الجملة". ولهذا يصرّح "فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ومعظم الوحدات الدلالية تقع في محاورة وحدات أخرى. وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع محاورة لها". [29]

ومن الشواهد الواضحة التي توضح أهمية عامل السياق في تعيين المعنى:

قال خليل بن أحمد ثلاثة أبيات على قافية واحدة، يستوي لفظها ويختلف معناها:

"يا ويح من دواعي الهوى" "إذ رجل الجيران عند الغروب"

"أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا" "ودمع عيني كفيض الغروب"

كانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاحي الغروب"[30]

ففي البيت الأول كلمة الغروب بمعنى غروب الشمس، وفي البيت الثاني كلمة الغروب بمعنى الدلو العظيمة المملوءة، وفي البيت الثالث كلمة الغروب بمعنى الوهاد المنخفضة.

6. عامل المجاز:

نرى الدكتور إبراهيم أنيس يقول عن عامل المجاز في الاشتراك اللفظي: "إن الاشتراك اللفظي لا يكون إلا في كلمة التي تؤدي إلى معنيين مختلفين تامين حتى ليس بينهما أية علاقة أو مناسبة أو أية نوع من الارتباط، كل الاختلاف ليس بينهما أدنى مناسبة أو أيّة علاقة أو أيّ نوع من أنواع الارتباط و أما إذا اتضح أن إحدى معانيها هي المعنى الأصلي وثانيها مجازي فليس من الصحيح أن نعتبرها من الاشتراك اللفظي"[31].

أنواع المشترك اللفظي

يقول الدكتور أحمد مختار عمر مبينا هذه الأنواع يمكن التفريق بين الأنواع الأربعة الأتية عند المحدثين: "أولها وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو أاصلية، وثانيها تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة، وثالثها دلالة الكلمة

الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى، ورابعها وجود كلمتين يدل كل منهما على معنى، وقد اتحدت صورة الكلمتين نتيجة تطور في جانب النطق".

المبحث الثاني: شواهد المشترك اللفظي من القرآن الكريم

هناك ألفاظ كثيرة لها أكثر من مدلول في وضع اللغة كأن تكون قبيلة من القبائل العربية قد استعملت اللفظ في معنى غير الذي استعملته قبيلة أخرى فينزل القرآن الكريم بهذه الألفاظ المشتركة بين تلك المعاني المختلفة.

وأورد مقاتل بن سليمان في كتابه حديثا مرفوعًا: "وهو لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة"، فبعض من العلماء فسروا هذا الحديث بأن "المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد".

المشترك اللفظي في مجال الأسماء :

هناك عدة أسماء تعتبر من المشترك اللفظي، منها :

- ﴿أمة﴾: وقد ذكرت هذه الكلمة في الفرقان الحميد على أربعة معان:

المعنى الأولى : ﴿أمة﴾ بمعنى الجماعة من الناس، كما جاء في قول الله ﴿"وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً"﴾[32] قال ابن عباس: أمة بمعنى جماعة مطيعة مخلصة[33] وقال الزمخشري: ﴿أمة﴾ استخدمت بمعنى أمة محمد.[34]

المعنى الثانية: ﴿أمة﴾ بمعنى"الحين" ورد في القرآن الكريم عدة مرات منها كما قول الله ﴿"وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم"[35] ﴾ قال القرطبي، وأبو حيان، وابن كثير: استخدمت هذه الكلمة بمعنى "الحين والزمان " [36]

المعنى الثالثة: ﴿أمة﴾ بمعنى "الدين" وقد ورد في قول الله ﴿"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً"﴾[37] فأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام[38].

المعنى الرابعة: ﴿أمة﴾ بمعنى "قدوة والمعلم" يقولون للرجل العالم أمة كما في قول الله في شأن سيدنا إبراهيم ﷺ : ﴿"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا"[39] ﴾

- ﴿الفرح﴾ وقد ذكرت هذه الكلمة في القرآن الكريم والفرقان الحميد على ثلاثة معان:

المعنى الأولى: الفرح بمعنى البطر، ففي قوله ﴿"لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ"﴾[40] أي لا تبطر.

المعنى الثانية: الفرح بمعنى الرّضا، ففي قوله ﴿"وَفَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا[41]"﴾ أي ورضوا بالحياة الدنيا وفي قوله : ﴿"وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتاعٌ"[42] ﴾

المعنى الثالثة: الفرح بمعنى بعينه ففي قوله ﴿"حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها[43]"﴾ أي بعينه.

- ﴿الحميم﴾ وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم على معنيين وهما:

المعنى الأولى: كلمة الحميم بمعنى القريب،ففي قوله ﴿"وَلا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً"﴾ [44] أي قريبا قرابته الكافر، وفي الآية الأخرى قول الله ﴿"وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ"﴾[45] أي صديق قريب.

المعنى الثانية: كلمة الحميم: بمعنى الحارّ، ففي قوله : ﴿"وَسُقُوا ماءً حَمِيما"﴾[46] أي ماءً حاراً، وفي مكان آخر قوله ﴿"يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ"﴾[47] أي الماء الحار.

شواهد المشترك اللفظي في مجال الأفعال من القرآن الكريم :

وهناك عدة من الأفعال تعتبر من المشترك اللفظي، منها:

- ﴿لقي﴾: استخدمت هذه الكلمة في القرآن الكريم على خمسة معان :

المعنى الأولى: فعل لقي بمعنى"وسواس"[48] وذلك في قوله :﴿"إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ"[49]﴾ أي وسواس.

المعنى الثانية: فعل لقي بمعنى (خلق) واستعملت هذه الكلمة في قول الله :﴿ "وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ"﴾[50] أي خلق، واستعملت هذه الكلمة في الآية الأخرى بنفس المعنى ﴿"وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[51] ﴾يعني خلق[52].

المعنى الثالثة: فعل لقي بمعنى (وضع) وذلك في قول الله ﴿"اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا"﴾[53] يعني ضعوه، وجاءت هذه الكلمة في الآية الأخرى بنفس المعنى نحو قول الله : ﴿"فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا"[54]﴾ أي وضعه[55].

المعنى الرابعة: فعل لقي بمعنى (أنزل)[56] ورد ذلك في كتاب الله العزيز ﴿"رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ"﴾[57] يعنى ينزل[58]وجاءت هذه الكلمة في الآية الأخرى في نفس المعنى كقوله ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا [59] ﴾ يعني المنزلات الوحي[60].

المعنى الخامسة: فعل لقي بمعنى (اقترح)[61] ورد ذلك في قول الله : ﴿"وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ"﴾[62] أي يقترحون.[63]

- ﴿نأى﴾ وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم على معنيين وهما:

المعنى الأولى: الفعل نأى ورد في القرآن بمعنى التباعد، ففي قوله : ﴿"وَنَأى بِجانِبِهِ"﴾[64] أي تباعد. وورد في الآية الأخرى بنفس المعنى فقوله :﴿"وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ"﴾[65] أي يباعدون.

المعنى الثانية: الفعل نأى ورد في القرآن الكريم بمعنى لا تضعفا، ففي قوله : ﴿"وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي"[66]﴾ أي لا تضعفا.

- ﴿ظل﴾ ورد هذا الفعل في القرآن الكريم على معنيين أيضًا وهما:

المعنى الأولى: ورد الفعل ﴿ظل﴾ في القرآن الكريم بمعنى (مال) ففي قوله ﴿"وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ"﴾[67] أي مالوا ، وفي قوله ﴿"إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ"﴾[68] أي مالت أعناقهم.

المعنى الثانية: ورد الفعل ﴿ظلّ﴾ بمعنى الإقامة، ففي قوله ﴿"انْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً"﴾[69] أي أقمت، وفي نفس المعنى في قوله ﴿"فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ[70]"﴾أي أقمتم.

إيجابيات وسلبيات في المشترك اللفظي

1. **الأثار الإيجابية للمشترك اللفظي :**

من الممكن أن يصل الباحث إلى مجموعة من الأثار الإيجابية لهذه الظاهرة منها:

- "إن وجود اللفظ المستقل للشيء التي نتناولها بالحديث من شأنه أن يفرض حملا ثقيلا على الذاكرة الإنسانية، وسوف يكون حالنا حينئذ أسوأ من حال الرجل البدائي الذي قد توجد لديه كلمات خاصة للدلالة على المعاني الجزئية"[71] فمثلاً "غسل رأسه وغسل نفسه وغسل شخص آخر وغسل رأس شخص آخر وغسل وجهه وغسل وجه شخص آخر في حين أنه لا توجد لديه كلمة واحدة للدلالة على العملية العامة البسيطة وهي مجرد الغسل. "فاللغة في استطاعتها أن تعبر عن الأفكار المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة على تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة.

وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعا من المرونة والطواعية فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة".

- "استغلال الغموض كخاصة من خواص الأسلوب، وهو أمر وجد في الآداب القديمة وما يزال يوجد في الآداب الحديثة. ويدخل تحت هذا الاستغلال صور من الفنون الأدبية والبلاغية مثل التلاعب بالألفاظ والجناس والتورية وأسلوب الحكيم وغير ذلك"[72].
- "استخدام اللفظ في معنى مجازي يجعله أكثر أدبية، إذ يصبح مليئا بالحيوية والإشراق، قادرا على التأثير في النفس، فضلا عما يثيره وبخاصة إذا كان مجازا جديدا يحدث دهشةً واهتماماً". وبهذا يستطيع الأديب أن ينقلنا إلى عالمه المتخيّل، في الصورة التي يختارها.
- وأفضل أمثلة على هذا استخدام أعضاء البدن في كل اللغات استخدامات مجازية مع الجمادات مثل: أنف الجبل، عنق الزجاجة، رجل الكرسي، عين الإبرة، حاجب الشمس، جفن السيف، لسان الميزان، يد القوس، كبد السماء[73].

2. الأثار السلبية للمشترك اللفظي :

إن أخطر الأثار السلبية لظاهر الاشتراك اللفظي ما قد توجده من تشويش يعوق التفاهم، أو يلقى ظلالا من الغموض على المعنى. ويترتب عن ذلك صراع بين المعنيين أو المعاني، يحمل نتائج لغوية هامة قد تتصل بوجود الكلمة ذاتها. وتواجه اللغة هذه المشكلة الخطيرة أو الحالة الوبائية -كما سماها أولمان – بجملة من الإجراءات السريعة التى تضع حدا لهذا الصراع، وتفصل بين الكلمتين. ومن هذه الإجراءات:

أولا: هجر أحد المعنيين وتركه بالكلية لتصادمه مع المعنى الآخر، وكثيرا ما يهجر المعنى ويبقى المعنى الثاني، إذا ما حدث الاحتكاك.

ثانيا: بقاء اللفظين وذلك اعتماداً على قرينة خارجية أو السياق لتعيين المعنى المقصود.

ثالثا: تغيير شكل إحدى اللفظين حتى تأخذ صيغة خاصة بها يميّزها عن اللفظ الأخر[74].

رابعا: عدم استعمال بعض الألفاظ التي ينبغي أن تنطق بإبدال صوتي معيّن "طبقا لنظام اللهجة الصوتية" وذلك لأنها لو استعملت بعد إبدالها الصوتي لطابقت كلمة أخرى موجودة بالفعل في اللغة مما يؤدي إلى نشوء المشترك اللفظي"[75].

خامسا: وقد ينتج عن صراع المعاني بين كلمات المشترك اللفظي تعيين استعمال الألفاظ. "فتحصص كلمة منه بمجموعة أو مهنة أو دائرة معينة، فكلمة (جذر) لها معنى واحد عند الفلاح أو عالم النبات، ولها معنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات، ولا تتصارع هذه الكلمات لتخصيص كل منها بمهنة معينة"[(76)].

تأليف القدماء والمحدثين فيه

ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة للقدامي "عالجت ظاهرة المشترك اللفظي" وعرّفواه "هو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى"[(77)]. فمنهم مَن اتَّجَه إلى دراسته في القرآن الكريم ومنهم من درسه في الحديث الرسول ﷺ ومنهم من اتّجه إلى دراسته في اللغة العربية ككل، ومن الكتب التى درست المشترك اللفظي فى القرآن الكريم نجد.

- "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان المتوفي 150هـ وهذا الكتاب من أوائل الكتب الذي ألف مؤلفه.
- "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى الأزدي المتوفي 170 هـ، وقد حقق هذا الكتاب عبدالله شحاتة".
- "الوجوه والنظائر للحسين بن محمد الدامغاني المتوفى 1085م، وقد حقق الكتاب الباحث عبدالعزيز.
- "ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد" الذي ألفه المبرد، المتوفى 899م.
- كشف السرائر عن معنى الوجوه والنظائر لشمس الدين علي العماد (ت 887هـ) وقد طبع الكتاب في عام 1977م بحقيق فؤاد عبدالمنعم.
- "معترك الأقران في إعجاز القرآن" للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى 1505م، وقد خص جزء كبير من كتابه للألفاظ المشتركة في كتاب الله العزيز.
- وفي دار الكتب المصرية مخطوط برقم 35733 ب للعلامة مصطفى بن "كتاب العلامة مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الأزيري (ت 1155م)، وهذا الكتاب ما زال مخطوطا، في دار الكتب المصرية برقم 35733 ب.
- "معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية"، لعبد الحليم محمد قنبس طبع في عام 1987م.

خاتمة البحث

إن المشترك اللفظي ظاهرة لغوية دلالية اتفق العلماءالعرب، القدماء والمحدثون بصفة عامة على وقوعها في اللغة.

وحاولت في هذا البحث الموجز بتعريف المصطلح المشترك اللفظي عند القدماء والمتأخرين وتكلمت فيه عن أسباب نشوء المشترك اللفظي، وأنواع المشترك اللفظي، وأهم الكتب المؤلفة في المشترك اللفظي ثم ذكرت الشواهد للمشترك اللفظي وأخيراً ذكر الإيجابيات والسلبيات للمشترك اللفظي.

ومن أهم نتائج البحث التي استنتجتها أثناء البحث هي:

- إن الكلمات متعددة المعاني في اللغة العربية كثيرة جداً ولا يمكن حصرها.
- المشترك اللفظي في اللغة العربية نجدها كثيراً في أمهات الكتب الدينية، كالقرآن والأحاديث النبوية الشريفة وفي الشعر العربي القديم والحديث سوياً.
- معظم الكتب المؤلفة في المشترك اللفظي قديمة، وتلك الكتب غنية بالشواهد القرآنية والشعرية.
- الحاجة إلى تأليف الكتب الجديدة وبخاصة المعاجم العربية التي تضم الألفاظ متعددة المعاني.

"قائمة المصادروالمراجع"

1. دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس،الطبعة الرابعة 1980م، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
2. ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة" للدكتورأحمد نصيف الجنائ، مكتبة العربية.
3. علم الدلالة الدكتور أحمد مختارعمر، الطبعة الثانية 1988، عالم الكتب
4. علم الدلالة اللغوية دكتور عبد التواب مرسي حسن الأكرت، الطبعة الأولى 2011
5. فصول في فقه اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب،سنة 1979 م،دارالفكر–بيروت.
6. المشترك اللفظي في الحقل القرآني، الدكتور عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت

7. المشترك اللفظي في القرآن الكريم بحث لصائمة قيصر بلال في الجامعة الإسلامية العالمية .

الوجيز في أصول الفقه الدكتور وهبة الزهيلي القديمي كتب خانه كراتشي

([1]) هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عثمان الفارسي الحضرمي، السيوطي ولد سنة 803 بأسيوط كان عالما في الفقه ، والنحو، والصرف ، والمعاني ، واللغة، والبيان، والفرائض، وغير ذلك . وله مصنفات عديدة في مجال شتى. وتوفي رحمه الله بالقرافة سنة 855

([2]) "المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي"، المكتبة العصرية، بيروت، ج/1، ص/329

([3]) "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلى ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن"،1985، ص/59

([4]) فقه اللغة، الدكتور على عبد الواحد وافي، نهضة مصر، الطبعة الثالثة، 2004، ص/ 189 ، وعلم الدلالة اللغوية الدكتور عبد التواب مرسي حسن الأكرت، دار الضياء، 1985، ص/ 158

([5]) الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، ص/ 112، ومعجم المصطلحات العلمية والفنية، يوسف حباط، دار لسان العرب، بيروت، ص/355

([6]) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1988، ص/149

([7]) نفس المصدر

([8]) مقال الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة، د.أحمد محمد المعتوق، http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=24079

([9]) "دور الكلمة في اللغة سيتقن أولمان، ترجمة كمال بشر"، ص/115.

([10]) الخصائص لابن جني، ج/2، ص/93

([11]) التطور دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس ص/213.

([12]) في علم الدلالة اللغوية، ص/160-161

([13]) المزهر للسيوطي، ج/1، ص/ 369، وعلم الدلالة اللغوية، د.عبد التواب مرسي حسن، ص/161

([14]) "علم اللغة" الدكتور أحمد محتار عمر، ص/ 156

([15]) علم الدلالة الدكتور أحمد مختار عمر ص/156

([16]) المشترك اللفظي في الحقل القرآني، ص/ 12

([17]) دلالة الألفاظ لدكتور إبراهيم أنيس، ص/213

([18]) نفس المرجع

([19]) سورة يوسف رقم الآية/ 42

([20]) سورة الزخرف، رقم الآية/ 23

([21]) علم الدلالة اللغوية، ص/164

([22]) المزهر للسيوطي، ج/1، ص/369-370.

([23]) فصول في فقه اللغة ، د- رمضان عبد التواب ، ص/332

([24]) القاموس المحيط (الفروة)، ج/4، ص/383

([25]) القاموس المحيط، ج/4، ص/113 ، ولسان العرب، ج/15، ص/92

([26]) فصول في فقه اللغة : ص/ 323

([27]) المصدر السابق

([28]) المزهر في علوم العربية، ج/1، ص/369

([29]) علم الدلالة، للدكتور أحمد مختار، ص/68

([30]) المزهر للسيوطي، ج/1، ص/376

([31]) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس ص/213

([32]) سورة البقرة، رقم الآية/128

([33]) تفسير ابن عباس، ج/1، ص/81 ، وانظر الدر المنثور، ج/1، ص/331

([34]) الكشاف، ج/1، ص/188

([35]) سورة يوسف، رقم الآية/45

([36]) تفسير القرطبي، ج/2، ص/127، وانظر البحر المحيط، ج/5، ص/315، وانظر تفسير ابن كثير، ج/4، ص/215

([37]) سورة المؤمنون، رقم الآية/52

([38]) تفسير القرطبي، ج/11، ص/38، وانظر تفسير ابن عباس، ج/1، ص/345

([39]) سورة النحل، رقم الآية/120

([40]) سورة القصص، رقم الآية/76

([41]) سورة الرعد، رقم الآية/26

([42]) سورة الروم، رقم الآية/32

([43]) سورة يونس، رقم الآية/ 22

([44]) سورة المعارج، رقم الآية/10

([45]) سورة الشعراء، رقم الآية/101

([46]) سورة محمد، رقم الآية/15

([47]) سورة الحج، رقم الآية/19

([48]) المشترك اللفظي، د. عبد العال سالم مكرم ص/189

([49]) سورة الحج، رقم الآية/52

([50]) سورة النحل/ رقم الآية/15

([51]) سورة ق، رقم الآية/7

([52]) معاني القرآن، ج/3، ص/239

([53]) سورة يوسف، رقم الآية/ 96

([54]) نفس الآية

([55]) تفسير الطبري، ج/13، ص/65

([56]) المشترك اللفظي، د. عبد العال سالم المكرم، ص/189

([57]) سورة غافر، رقم الآية/15

([58]) البحرالمحيط، ص/7، ص/444

([59]) سورة المرسلات، رقم الآية/5

([60]) تفسير البيضاوي، ج/5، ص/ 587

([61]) المشترك اللفظي، د. عبد العال سالم المكرم ص/189

([62]) سورة آل عمران، رقم الآية/44

([63]) الكشاف، ج/2، ص/329

([64]) سورة الإسراء، رقم الآية/82

([65]) سورة الأنعام، رقم الآية/26

([66]) سورة طه، رقم الآية/42

([67]) سورة الحجر، رقم الآية/14

([68]) سورة الشعراء، رقم الآية/4

([69]) سورة طه، رقم الآية/97

([70]) سورة الواقعة، رقم الآية/65

([71]) البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه "المفرادت في غريب القرآن" بحث ماجستير في العلوم الإسلامية، عمر حدوارة، جامعة الجزائر، 2006، ص/51

([72]) نفس المرجع

([73]) علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ص/179-183

([74]) مقال نشر على موقع http://www.jalaan.com/book/show.php?lessid=53 بعنوان الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية طبيعتها ـ أهميتها ـ مصادرها، للكاتب جعلان، في تاريخ 2006/07/18.

([75]) نفس المرجع

([76]) المصدر السابق

([77]) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص/147-155